الدكتورة: إنصاف علي بخاري

المملكة العربية السعودية ـ مكة المكرمة

ذاتية الشاعرة بقلمها:

- المولد والنشأة: من مواليد مكة المكرمة، وفيها نشأت وتلقت تعليمها.
- الدراسة: حصلت على الثانوية العامة (القسم الأدبي)

عام ١٤٠٣ / ١٤٠٤هـ بتقدير ممتاز.

- حصلت على البكالوريوس في الآداب والتربية من كلية التربية للبنات بمكة المكرمة قسم اللغة العربية عام ١٩٨٣/١٩٨٤م بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف
- واصلت دراستها العليا في جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤٠٩هـ ثم عينت معيدة في كلية التربية للبنات بمكة المكرمة عام ١٤١٠هـ وهناك واصلت رسالتها حيث حصلت على الماجستير عام ١٤١٥ هـ بتقدير ممتاز عن أطروحتها (البناء العروضي الجديد وأثره في القصيدة السعودية).

- حصلت على شهادة الدكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف في الكلية نفسها عام ١٤٢١/١٤٢٢هـ
- نشرت كثيراً من القصائد والمقالات والدراسات الأدبية

في الصحف والمجلات السعودية والعربية.

الشاعرة الدكتورة إنصاف ما شاء الله تبارك الله، ثرة الينابيع الشعرية، منوعة الموضوعات، لها رائعتها (مكتي):

هذا القصيد مشاعر وخطاب
والحرف منه مدى الزمان كتاب
الشعر حين يروم أكناف السنا
فوقوده الشريـــــان والأعصاب
والشعر حين يكون في أم القرى
فحنيـــــنه وفؤاده مرتـــــاب
ماذا يقول وفي الشغاف تولع
بهواك مكة والهوى غلّـــــاب
والقلب إن لم يدر ما داعي الهوى
بلحب مكة تكثر الأسبـــــاب

* * *

ماذا أقول ورجف قلبي بيّنٌ

وجلال وجهك في الحشا ينساب

يا ضوء هذا الكون، يا إشراقه

الأمن أنت...وعطره الجوّاب

نور على نور بعمق جوانحي

فالوسم منك ووسمك الخلاب

أنت الجذور وأنت سر فصاحتي

أنت الهُوية والهوى وصحاب

يا طيب أحلام الصبا وجمالها

يا صفو سعدي حين حان شباب

من لون كعبتك الطهور عباءتي

من زمزم طعمي كذاك شراب

لا تغربي عني فحبك عارم

والحب مضن وهو فيك عجاب

* * *

بلغت هذه القصيدة المعلقة قريباً من مئة بيت.

ومن كتابي:

(الصالونات الأدبية في المملكة العربية السعودية) هذه المعارضة:

قال فهد خلف العتيبي[1]:

أيا حضرة الدكتور رفقاً بحالنا

خليلي شدا رحلكم وتيمما

ديار الذي يهوى الفؤاد وسلما

وقولا: حبيب كلما لاح طرفه

إلى دار من يهواه أومى مسلما

رميت بسهم في الفؤاد أضرني

جزى الله عني من لقلبي قد رمى

فهل مبلغ عني إليه رسالة ؟

فحق لمثلي اليوم أن يتكلما

سلام على الدكتور مني وربما

أقول سلامي بعد أن سالت الدما

تجرعني الأيام كأساً من الأسى

وأشرب مر الكأس من شدة الظما

وما ذاك أني قد ترحلت تاركاً

ورائي دياراً للصحاب ومعلما

ولكنها الأحزان تأتيك فجأة

فتقلب أيام السعادة مأتما

حزنت على ترم تصرم وانقضى

ومن عادة المحزون أن يترنما

---

[1] الصالونات الأدبية في المملكة العربية السعودية ط١ د. أحمد الخاني ص ٧٦٤.

فكم آهة في الصدر تخرج لفظة !
وكم لوعة في القلب تنطق أبكما !
ألا أيها الدكتور عذراً فإنما
يعز على الإنسان أن يتكلما
سكت وهل يجدي السكوت لطالب
أطاح به الدكتور يوماً من السما؟
أيا حضرة الدكتور رفقاً بحالنا
فإنا شربنا في زمانك علقما
تجيء إلينا ما قرأت محضراً
وندرك من فحوى الحديث التلعثما
تطالبنا بالواجبات لربما
ترقع درساً ناقصاً متهشما
ونحضرها والكل يعلم أنها
ستلقى على الأدراج حيناً لترجما
وتفحمنا بالامتحان كأنما
تعاقب إنساناً بحقك أجرما
أيا حضرة الدكتور إن معدلي
كبنيان بيت بالرسوب تهدما
فهلا توادعنا على خير صحبة
وهلا ختمت الترم أنساً ومغنما
ألا أيها الدكتور هذي نصيحتي
ألا فارحم الطلاب علك ترحما

(ترحما) فعل مضارع حقه الجزم، لأنه جواب الطلب، ويمكن أن يخرَّج هذا البناء على الفتح مع حركة الروي فانقلبت إلى ألف، على تقدير نون التوكيد المحذوفة (ترحمن)ثم حذفت النون. ولهذا التخريج شاهد من الفصيح، قال الأعشى:

(ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا) على تقدير: (فاعبدن).

القصيدة قصة شعرية كاملة العناصر، مع محدودية الزمان والمكان، فليس فيهما انفساح.

الموضوع: شكوى طالب جامعي

الشخوص: الطالب وحده بطل القصة

الحوار: قام المنولوج مكان الحوار

الصراع: داخلي

العقدة: آخر بيت في النص.

الهدف: واضح يكمن مع العقدة، وفيه لحظة التنوير

إنها ومضات من العناصر القصصية في الشعر، وكم طربت لهذا التأتي العفوي السمح في النص، كأنما هو جدول مطرد بأخذ بعضه برقاب بعض وفيه حسن التخلص من موقف إلى موقف..

هذا النص الرائع عارضته دكتورة شاعرة هي إنصاف البخاري بالقصيدة التالية:

ألا صاحبي رحلي هلما وأنزلا
منازل مشبوب بدا مترنما
فما قال عذباً يطرب القلب وقعه
ولكن شكوى الوجد قد نالت الفما
أجود بصفو فاض بالنفس غيثه
وأهدي رحيقاً طاب في الجني موسما
ففي عمق شرح الدرس ترمق نظرة
تسافر، لا أرضاً تروم ولا سما
فأحزن لكني أواصل واثقاً
بكون المنى في الآخرين مجسما
فإن زدت شرحاً أبتغي شد عودهم
وأمثلة أخرى تقر التفهما
يلوح عبوس بل رقاب تناكرت
وكادت أنوف القوم أن تتورما
فإن قلت ذا في البيت قوموا بحله
سمعت نفوساً تستغيث لتسلما
فإن شارف الوقت الذي فيه ننتهي
يلملَم جسمٌ جاء للدرس مرغما

فإن جاء وقت الامتحان وإنه

لوقت أجور حان أن تتقسما

رأيت هتاف القلب قد فاض لوعة

بما يُسأل الرحمن أن يترحما

فإن يرسب المكسال غادر ساخطاً

وحول بيتاً يحتويه جهنما

وقامت أصول البيت تسند ابنها

تقول: ذكي والمعلم أجرما

إن هذه المعارضة، من أجمل ما قرأت من المعارضات في العصر الحديث، ولي ديوان كامل في المعارضات، لكن مثل هذا الموضوع الطريف لم يمر علي.

أقترح أن يدرس هذان النصان دراسة أكاديمية أدبية إلى جانب روائع المعارضات في الأدب العربي في مختلف عصوره الأدبية.

الدكتورة إنصاف البخاري تشترك مع أكثر من شاعرة في موضوع الرثاء وقد أطلق عليها الفريق يحيى المعلمي يرحمه الله لقب: خنساء العصر.

دخلت الشاعرة الدكتورة إنصاف في مسابقة المعلمي الشعرية، فكانت من أوائل الفائزين في هذه المسابقة،

وقصيدتها كانت في رثاء والدها يرحمه الله و هي قصيدة بلغت ٨٥ بيتاً مطلعها:

حنانك يا دنيا فلطمك موجع

وسيفك فتاك وكأسك تُجرَع

ثم تنتقل الشاعرة إلى مخاطبة والدها الفقيد:

أبي، وأبي نبضي وكرمي ووكنتي

ومد حياتي والدم المتوزع

أبي وسنادي..ضوء أمسي وبهجتي

أكل امرئ عمن يحب سينزع؟

أبي، وأبي عزي وعزمي وواحتي

وصرح انتسابي الشامخ المتمنع

هبتني خصالي مكرمات وإنها

غراس أبي بل عن أبي تتفرع

إذا جئت أبكي فالضلوع منازل

وإن رحت عنه فالدعاء يشيع

وما مثل شيخي في الأبوة رائع

كأن الدنى من بعد وجهك بلقع

هنا مجلس في الصدر يقدم أهله

وذاك المصلى...ههنا كان يخشع

شموعاً أضأتم بالأمان مسالكي

وقلت: ابنتي هيا..طريقك مهيع

أبي وأبي في الصحو أهتف باسمه

وإن غامت الرؤيا فوجهك يسطع

وبعد هذه المشاعر التأبينية، تتهيأ القصيدة للوداع فتقول مخاطبة التراب الذي ضم بين جانحيه الفقيد:

ألا أيها الترب المباعد بيننا

ترفق..فشيخي في الجوانح مودع

أأرثيك؟ كلا ما رثيت وإنما

مشاعر راحت بالأسى تتضوع

خنساء العصر

صديقنا الراحل الفريق يحيى المعلمي يرحمه الله أطلق هذا اللقب على الشاعرة إنصاف، ولم يكن هذا اللقب منتشراً، ولكن في هذه الأيام وجدت في صالون نون النسائي في غزة ما يلي) واليوم نحتفي بخنساء فلسطين رحاب كنعان، شاعرة الوطن والألم..) فكيف نفعل إزاء هذا اللقب المشرف؟ ورأيت في الأدب المغربي: خنساء العصر.

خديجة بنت عبد الحي: من موريتانيا

خنساء موريتانيا ترثي والدتها.

والشعرة شيخة المطيري من الإمارات ترثي الغوالي رثاء حاراً.

اقتنعت بنت مكة المكرمة بلقب: خنساء مكة المكرمة ونعم اللقب، ونعم الانتماء.

ولكنني لم أجد في الجزيرة العربية من ينازعها هذا اللقب المشرف، لقد أطلق لقب (خنساء) على أكثر من شاعرة، في أكثر من قصر عربي. و الشاعرة إنصاف بخاري تستحق هذا اللقب عن جدارة.